قراءة في المضمون الفكري والأخلاقي للشعر الجاهلي

علي سليمان*

* حصل على الدكتوراه في الأدب الجاهلي وصدر الإسلام من أكاديمية العلوم السوفيتية في موسكو عام 1992م.
يعمل حالياً وكيلًا لوزارة الثقافة وأستاذاً منتدباً بكلية الآداب - جامعة دمشق.

الملخص

ليس هذا البحث دفاعاً عن العصر الجاهلي، ولا تحيزاً له، أو إعجاباً به، وليس محاولة لإضفاء صفاتٍ أخلاقية ومزايا فكرية، كان عربُ الجاهلية يفتقرون إليها.

إنما هو، قراءة محايدة، عبر الشعر، لفترة انتقال مهمة من فترات تاريخنا، فترة سبقت تحولاً كبيراً أحدثه الإسلام، وقاده الرسول العظيم، فكان من جراء ذلك أن لحق بتلك الفترة، ما يلحق بمثل هذه الفترات الانتقالية، من ظلم وحيف ومبالغة في الحديث عن معايبها ومثالبها، وإن كان الهدف من المبالغة في الحديث عن مثالب الجاهلية، هو إبراز عظمة الإسلام وإبراز دوره في نقل العرب من حالة الانقسام والفرقة والتنازع، إلى حالة من التآخي والتجانس والتوحُّد والقوة والتسابق إلى الفضائل.

وإذا كان الهدف الرئيسي لهذا البحث، هو استكشاف ما في النصوص الشعرية الجاهلية من مضامين فكرية وقيم أخلاقية، تؤكد أهمية تلك المرحلة من تاريخنا العربي، فإن من بين أهدافه، الكشف عن دور تلك المرحلة في التمهيد لرسالة الإسلام، وعن الروابط الفكرية والأخلاقية التي تربط ما بين عرب الجاهلية وعرب الإسلام، ودفعاً لمحاولة تقسيم تاريخنا وتشطيره إلى مراحل أو فترات أو تيارات فكرية ومذهبية وسياسية واجتماعية، منفصلة ومتضادة ومتعادية، وإغفال ما في تلك المراحل والتيارات المتباينة، من تواصل وتكامل وتفاعل..

آملا أن يكون هذا البحث، مساهمة منصفة، ليس في قراءة المضمون الفكري والأخلاقي للشعر الجاهلي، بل في قراءة الحياة الجاهلية كذلك..

يقول أبو عمرو بن العلاء: ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافراً، لجاءكم علمٌ وشعر كثير[1]. ويقول ابن الكلبي: ولم تحفظ العربُ من أشعارها إلا ما كان قبيل الإسلام.[2]

ترى ماذا كان سيصلنا من الشعر الجاهلي، لو وصلنا كله، وماذا كان سيضيف ذلك الشعر الضائع إلى ما نعرفه عن الشعر الجاهلي وعن العصر الجاهلي، وما هي الصورة التي كان سيرسمها هذا الشعر لحياة عرب الجاهلية ولطاقاتهم الإبداعية؟ وهل كانت الصورة ستتغير كثيراً لو أن هذا الشعر قد وصلنا بأكمله، وهل كان تقويمنا لحياتهم الثقافية والسياسية والاجتماعية والاعتقادية سيختلف اختلافاً كبيراً عن تقويمنا الراهن؟ أم أن ما نقله لنا الرواة من هذا الشعر، كان يمثل خلاصته وصفوته والجانب الأجود والأكمل والأقدر على النقل والتعبير والبقاء؟ لأنه الجزء الأكثر التصاقاً أو انغماساً بالحياة والأنضج فكراً والأسمى خلقاً والأقوى تعبيراً عما هو حي وجوهري وإنساني. . . أما ما عدا ذلك، فهو الذي أُغفِل وأُهمِل وأُسلِم للتناقص والنسيان.

من الصعب حقا، المجازفة برأي أو بأجوبة عن هذه التساؤلات، وما دمنا نجهل مضمونَ ذلك الشعر المفقود، ونجهل بالتالي قيمتَه التاريخية والإبداعية ومضمونهَ الأخلاقي والفكري، وإن كنا نعتقد أن ما فُقد من الشعر الجاهلي عدا ما يتعلق منه بالدين الوثني، لا يختلفُ كثيراً عما وصَلَنا منه عن طريق الرواة أو عن طريق أولئك الذين شاركوا في تقويض الحياة الجاهلية وفي إعادة بنائها، وإننا نستطيع اعتماداً على هذا الشعر الذي وصلنا، أن نحكم على قيمته الإبداعية وعلى مضمونه الأخلاقي والفكري وعلى نزعته الإنسانية، وأن نكتشف صورة الحياة الجاهلية ثقافةً وفكراً وواقعاً اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً. .

فالنماذج التي وصلتْنا من الشعر الجاهلي وحَفِظَها ونقلها لنا عشاقُ الشعر وعلماؤه ورواتهُ الأوائل، تكفي لتوضيح ملامح الحياة الجاهلية ولرسم صورة

المجتمع الجاهلي ولتعريفنا بعاداته وتقاليده وقيمه وفضائله ومعتقداته وهمومه وطاقاته الإبداعية بمقدار ما تكشف لنا من مثالب ذلك المجتمع وعن نقائصه.

وتجدر الإشارة إلى أن ظلما كبيرا، قد لحق بالحقبة التاريخية التي تسمى بالعصر الجاهلي، فقد تسابق الكثير من الباحثين[3] في تقديم صورة شديدة السواد للحياة الجاهلية، وعملنا نحن بدورنا على ترسيخها في ذاكرة أجيالنا وقناعاتهم في المدارس والمعاهد والجامعات.. وقد خلط بعض هؤلاء الباحثين بين الجاهلية الاعتقادية وبين الجاهلية الأخلاقية والمعرفية، واستخدموا مقاييس دينية، في قياس ما ليس بديني، فاتهم عرب الجاهلية، بالسفه والحمق والخفة[4] وبالجهل والتكبر والتجبر[5]، كما اتهموا بالعنف والوحشية والتعسف والتبجح وبسطحية النظرة التأملية والفلسفية[6] وبسرعة الغضب وضيق الخيال وبالحسد والطمع والخيانة[7] وحرموا من الكثير من فضائلهم التي كانوا يفاخرون بها، حتى أصبح الباحث العربي المعاصر، يهاب أن ينسب لعرب الجاهلية، أية مكرمة أو تميز أو فضل..

وهكذا التقينا مع أعدائنا، في إطلاق الأحكام الظالمة بحق أنفسنا، والتقينا معهم في تشويه تاريخنا وظلمه وتقسيمه إلى عصور وفترات تاريخية وإلى تيارات سياسية وفكرية ومذهبية، متضادة، لا متكاملة أو متفاعلة. فالعصر الإسلامي الأول في تضاد مع العصر الجاهلي، والعصر الأموي في تعارض مع صدر الإسلام، والعصر العباسي في تضاد مع الأموي، حتى كأن تاريخنا تاريخ تنافر وتناقض وتباعد وانفصال، لا تاريخ تواصل وتفاعل وتكامل، أو كأنه تاريخ شظايا متناقضة ومتعادية لا يجمع بينها، جامع أو رابط.

إنها سايكس - بيكو، تاريخية ونفسية، كُرّست واستغلت فَمَهَّدَتْ لسايكس - بيكو، جغرافية، وقد تمهد لأخرى اجتماعية، أشد خطراً، ما لم ننتبه إلى مخاطر تشطير تاريخنا إلى مراحل أو إلى حركات فكرية وسياسية ومذهبية، كل واحدة منفصلة عن الأخرى أو في تضاد وعداء معها.

فإذا كان علينا أن نحترم ونقدر حماسة أسلافنا الأوائل، ضد الجاهلية الوثنية وأن نفهم، بأن الدافع لتلك الحماسة، هو إخلاصهم للدين الإسلامي وحرصهم على انتصاره وتعلقهم به وانصرافهم له واعتزازهم باتساع فضاء الفضيلة والقيم الأخلاقية فيه، فإنه لم يعد الآن وقد غدت الجاهلية حالة تاريخية، وانتقل أهلها الأواخر إلى الإسلام، ما يبرر تحاملنا على تلك الحقبة من تاريخنا العربي واستمرارنا في تجاهل فضائلها، وقد كان فيها كغيرها من الحقب التاريخية، ما هو إيجابي وما هو سلبي، بل ليس من الموضوعية أو الأمانة أو الإنصاف لتراثنا ولأنفسنا، أن نغمط عرب الجاهلية حقهم ونجردهم من فضائلهم، لأنهم كانوا مشركين.. كأننا لا نستطيع أن نثبت صحة إيماننا وعظمة رسالة الإسلام وسموها، إلا بالتنكر لتاريخنا القديم والانخلاع أو الانتقاص من عرب الجاهلية... بينما لم تكن حياتهم كلها، تعنتا وتعصبا وقسوة وحمقا وبغيا وانسياقا وراء الأهواء وأنهم لم يكونوا جميعا أعرابا متعسفين مكابرين غلاظ القلوب والأكباد، تقودهم العصبية وتستبد بهم الشهوات والأهواء.. بل اشتهر الكثير منهم بالحلم والحكمة والعدل والسماحة والعفة والرأفة والإيثار والكرم والنجدة وكانوا على قدر وافر من الثقافة والتحضر ورجاحة العقل ونفاذ البصيرة وسمو الخلق.

لقد استجابوا لدعوة النبي الكريم، وأصبحوا جند رسالة الإسلام وحاملي لوائه وناشري تعاليمه.

أليس «خيارهم في الجاهلية، خيارهم في الإسلام»[8] كما ورد في الحديث الشريف؟ ثم إن سيرة العرب قبل الإسلام تؤكد أن الكثير منهم قد اشتهر بالفضائل ومكارم الأخلاق بل إنهم اتصفوا بالحلم والحكمة وضبط النفس وكانت لهم روادعهم الأخلاقية وضوابطهم الذاتية والاجتماعية، كالصيام والحج والامتناع عن الحروب أو القتل في الأشهر الحرم، وأن مكة قبيل الإسلام كانت أشبه بجمهورية يحكمها مجلس مؤلف من عشرة كبار من بطون قبيلة قريش، كل منهم له صلاحياته وله دوره في إدارة دفة الأمور، حتى إن بعض المؤرخين والباحثين مثل مونتجمري ولامنس وصف نظام الحكم في هذه الجمهورية بأنه يشبه النظام الآثيني الديمقراطي أو نظام الحكم في البندقية وقرطاجة[9].

وأن من بين مزايا هذه الجمهورية، أن بعض قادتها قد أقاموا فيما بينهم حلفا أسموه حلف الفضول[10] غايته: دفع الظلم عن المظلوم وإنصافه من ظالمه، وأن عبد المطلب بن هاشم جد الرسول الكريم، قد بلغت به الرقة والرأفة والسمو الخلقي والتحضر، حداً دفعه ليس فقط إلى إطعام الجائعين من البشر، بل إلى إرسال الطعام إلى الطير والوحوش في رؤوس الجبال القريبة من مكة في سنوات القحط والجدب كي لا تهلك من الجوع، وهو الذي تخلى عن صداقة ومنادمة قريبه وصديقه حرب بن أمية والد أبي سفيان، لأنه قتل أحد جيرانه اليهود من غير حق، ولم يكتف بذلك بل أرغمه على دفع مائة ناقة دية لابن عم اليهودي القتيل، دفعا للظلم وتمسكا بالعدل ومكارم الأخلاق[11].

وأن كراهية العرب للغدر دفعت وفاء بن زهير المازني، إلى قتل أخيه قيسا لأنه غدر بجاره، ولم تنفعه أو تشفع له توسلاته وتوسلات أمه، بل قتله عقابا على غدره وانتصاراً لجاره الذي استجار به وتطهيراً من دنس الغدر وعاره، ثم قال في ذلك:

يُناشدني قيسٌ قرابةَ بيننا وسيفي بكفِّي وهو منجردٌ يسعى
غدَرتَ، فما بيني وبينك ذمةٌ تُجيركَ من سيفي، ولا رحمٌ، تُرعى[12]

أليس الأقرب إلى الموضوعية، أن نبحث عن العوامل والبواعث والمزايا التي هيأت عرب الجاهلية ليكونوا جند رسالة الإسلام وحاملي هذه الرسالة إلى العالم؟ وأن نكشف عن هذه المزايا الخاصة التي هيأتهم كي يلعبوا ذلك الدور الحضاري البارز في التاريخ؟ بدلا من المبالغة في الحديث عن مثالب هؤلاء. في بحثنا هذا، سوف نحاول ومن خلال حديثنا عن الشعر الجاهلي وعن مضمونه الفكري والأخلاقي وبعض خصائصه ومزاياه، أن نكتشف العلاقة بين الإسلام وبين الفترة التي سبقته، وأن نتعرف على نوعية الرابطة التي تربط بين عرب الجاهلية وعرب الإسلام، بدلا من أن نُجهد أنفسنا في نفي أية صلة أو علاقة تربط ما بين الإسلام وما بين الجاهلية، أو ما بين العرب المسلمين والعرب الجاهليين.

وسوف نترك للقارىء من خلال حديثنا عن بعض خصائص الشعر الجاهلي ومضامينه وعن بعض نماذجه، حرية الوقوف على تِلك العلاقة أو الصلة، إن كان هنالك من صلة أو علاقة..

لقد وصف الأقدمون الشعر الجاهلي، بأنه ديوان العرب، أي أنه جامع لأدبهم وفنهم وفكرهم وقيمهم وسيرتهم، وهو بحق ديوانهم الجامع ومرآة حياتهم، وهي مرآة شديدة الحساسية والاتساع والقدرة على الالتقاط والإيحاء والنقل، فقد نقل لنا صورة شديدة الواقعية والوضوح عن العصر الجاهلي واتسع لشتى المواضيع والأغراض والهموم والقضايا التي تهم بني البشر، وتتطرق لأهم القضايا الفكرية والحياتية التي شغلت بال الجاهلي كمسألة الحياة والموت واللذة والخلود وعلاقته بالإله والزمن والكون والآخرة، وقد اتسع للوصف والفخر والحب والفروسية والمديح والهجاء والعتاب واللوم والشكوى والرثاء والاعتزاز بالفضائل وحمل صيحات الشجب والاحتجاج والنفور ضد كل ما يتنافى مع قيم الحق والخير والعدل.

كما اتسع للحكمة والتأمل وطرق أبواب الفلسفة ونادى بإصلاح الحياة وتنقيتها وتخليصها مما يعكرها أو يفسدها، من نزوات البغي والظلم والقسوة والأحقاد والحروب، وعبَّر عن التجربة الذاتية وعن هموم الجاهلي وأشواقه وشغفه بالحياة والملذات والبطولة وعن مخاوفه ومطامحه ونزواته وتساؤلاته، وعن انكساره وهزيمته إزاء حتمية الموت، كما عبر عن قلقه وحيرته، حيال الكون والمجهول، وحيال عبثية الحياة وعشوائية الأقدار.

ولقد دعا الشعر الجاهلي، مثل أي شعر ملتزم بالحياة والإنسان، إلى رفض الظلم والبغي وإلى مجابهة ما هو جائر وظالم، بل دعا إلى الموت من أجل ما يراه المرء حقا وعدلا، وحض على الفضيلة واحتفى بأرقّ المشاعر الإنسانية وأكثرها سموا وحنانا ومشاركة، كالرفق والرأفة والتسامح والإيثار، كما حض على الأناة والحلم والصبر والعفة والاعتدال والتبصر وإعادة النظر في الأمور.

وإننا ما نزال نحس ونعجب بتوهجه ونبضه الإنساني وحساسيته وحفاوته بالمشاعر الإنسانية والقيم الأخلاقية، وهي صفات ومفاهيم وقيم ومشاعر لا تتكون أو تتبلور في مجتمع جاهل متخلف بدائي، بل لا تتكون إلا في مجتمع بلغ قدراً متميزاً من الثقافة والوعي والنضج الوجداني والأخلاقي، بل إننا لا نكاد نفاخر الآن بفضيلة أو مكرمة، لم تكن مصدر مفاخرة ومباهاة واعتزاز لدى عرب الجاهلية. . .

وكي لا يبقى حديثنا عن الشاعرية الجاهلية، حديثاً نظرياً أو كلاماً عاماً، فإننا سنستعرض بعض خصائص ومزايا هذه الشاعرية، محاولين أن نبتعد بآرائنا عن التعسف والمبالغة وتحميل النصوص الشعرية ما لا تحمله بالفعل، أو ما لا توحي به، من معان وأفكار ومدلولات. .

المجابهة والإقبال على الحياة في الشعر الجاهلي

أول مزايا هذه الشاعرية: أنها شاعرية مجابهة وإقبال وتحد، وليست شاعرية إدبار أو اعتزال أو تكيف أو مسالمة أو تراجع، حيال تحديات الحياة مهما كبرت هذه التحديات ومهما بلغ خطرها. .

وهي أيضاً شاعرية يقظة وسعي متصل وتصادم لا يكف مع الواقع ومع الأعداء ومع قسوة الطبيعة ومع المجهول والأقدار. فهي مثل حياة صاحبها مجابهة وقلق وترقب وتفجر دائم وانتقال لا يهدأ عبر المكان. ليس فقط طلباً للماء والكلأ أو سعياً وراء الغنى والمجد كما يتردد كثيراً على لسان الشعراء، بل ضيقاً وبرماً بالثبات وتأكيداً على يناعة الحياة وقوة تدفقها، وهدمها لجدار الحصار والعزلة التي يحس بها من حوله. فحياة الجاهلية سلسلة من المواجهات والتحديات والصراعات التي لا تهدأ. . .

صراع من أجل البقاء. . .

وصراع من أجل الغنى والامتلاء بالحياة واللذات. . .

وصراع من أجل الشهرة والمجد. . .

وصراع ضد الآخر الذي يطمع في إخضاعه وإلغائه. . .

وصراع مع الطبيعة الصحراوية القاحلة المرهقة والملفعة بالمجهول والأسرار والمخاطر. . .

وصراع مع الزمن الذي ينتهي به إلى الشيخوخة والضعف إذا ما سلم من يد الموت. . .

والصحراء وحدها، مداره ومجال حركته ونافذة تأملاته ومبعث مخاوفه وطمأنينته، وهي الساحة التي يقف عليها. موقنا بوجودها وصلابتها. وهي الحقيقة الراسخة التي يتحرك عبرها، ومن عناصرها وإيحاءاتها تتفجر مخيلته وشاعريته وأشواقه. . .

أما السماء، فهي في نظره فراغ لا نهائي، أو غموض مقلق لا يتوقف عنده ولا يشغل فكره أو مخيلته في اكتشاف غموضه، أو في اجتلاء أسراره أو في السؤال عما وراءه.

والغريب في موقف الإقبال والمواجهة والتصارع هذا، أن إحساس الشاعر الجاهلي بهشاشة الحياة وسرعة انطفائها وقابليتها الدائمة للانكسار، ويقينه بحتمية الموت وانعدام إيمانه أو يقينه بعالم آخر بعد الموت، لم يدفعه إلى التصالح أو المسالمة مع الواقع ومع تحدياته، تفادياً للمخاطر ورغبةً بطول البقاء، ولا إلى التسليم والقعود والتكيف، أو إلى التخلي والسلبية بل دفعه إلى الإقدام والمجابهة وإلى ركوب المخاطر والاستخفاف بالموت ورفض القبول بما يراه متعارضا مع حريته وحقوقه وكرامته، أو بما يراه ظالماً أو مذلاً. . . فجاء شعرُه على شاكلته، شعر مواجهة وتحد وإقبال. . . شعراً مؤمناً بالحياة مقبلاً عليها ممتلئاً بها مخلصاً لها، يعبر عن حكمتها الخالدة وعن دور الإرادة الإنسانية الحرة وأثرها العظيم في الحياة، حتى ولو هُزمتْ أو انكسرت في قبضة الموت، أو تحت ضربات الأقدار.

يعبر الحُصين بن الحمام عن روح المجابهة هذه، رافضا مقايضة حياته بالمذلة أو إطالتها بالانسحاب أو الهروب أمام الأعداء أو الموت، فالحياة عنده في المواجهة والإقدام، لا في الانكفاء والتراجع.

فلستُ بمبتاع الحياة بذلة ولا مُرتَقٍ من خَشْيةِ الموت سُلما
تأخرتُ أستبقي الحياةَ فلم أجدْ لنفسي حياةً مثل أن أتقدما
فليستْ على الأعقاب تَدمَى كلومُنا لكن على أقدامنا تقطر الدما[13]

والحياة عند المتلمس هي الحرية ورفض الضيم والمذلة، فإذا ما سلبت الحرية أو امتهنت، فلم يعد للبقاء أو للحياة في نظره أي مبرر أو قيمة أو معنى، ما دام الإنسان صائرا لا محالة إلى الموت:

ألم تـرَ أن المرءَ رهـنُ منَـيَّـةٍ صريعٌ لعافي الطير أو سوف يُرمس
فلا تقبلنْ ضيما مخافةَ ميتةٍ ومُوتَنْ بها حُراَ، وجلدك أملس
وما الناسُ إلا ما رأوا وتحدثوا وما العجزُ إلا أن يضاموا فيجلسوا[14]

أو كما في قوله:

إن الهوانَ حمارُ القومِ يعرفه والحرُّ يُنكره والرسلة الأجد
ولا يقيم على خَسْفٍ يُرادُ به إلا الأذلان: عيرُ الحَيَّ والوتد[15]

ويرى عنترةُ بن شداد أن الحياة في المواجهة والإقدام، وفي مقارعة الموت ومغالبته لا في تفاديه أو بالهروب منه:

بكرتْ تُخوفني الحتوفَ كأنني أصبحتُ عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها، إن المنيةَ منهلٌ لا بُدَّ أنْ أُسقى بكأس المنهل
فاقني حياءك لا أبالك واعلمي أني امرؤ سأموت إن لم أقتل[16]

ويقف صخرُ الضيّ، وحيداً متحدياً أعداءه الذين يهددونه ويتوعدونه ويريدون إخضاعه وإرغامه:

ولستُ عبدا للموعدين ولا أقبلُ ضيما، أتى به أحد[17]

أما عمرو بن برّاق، فإنه كغيره من الجاهليين، يرفض المراغمة والإكراه ويتحدى خصومَه مهما جرّ عليه ذلك من نتائج:

كذبتم وبيتِ الله، لا تأخذونها مراغمةً ما دام للسيف قائم
متى تجمع القلبَ الذكِيَّ وصارما وأنفاً حميًّا تجتنبك المظالم[18]

إنها شاعرية المجابهة والمواجهة والإرادة الحرة.. شاعرية كم نحن بحاجة إلى أن تصل إلى أسماعنا ووجداننا؟

الواقعية ودور الحواس والتجربة الحسية في الشعر الجاهلي

الشاعرية الجاهلية، شاعرية واقعية، بل هي شديدة الالتصاق بالواقع ربما لأنها وليدةُ التجربة وضرورات الحياة، أكثر مما هي وليدة التأمل الطويل والتفكير العميق، فالصور والمعاني والأفكار والتشبيهات، التي يستخدمها الشاعر الجاهلي، مُستقاةٌ كلها أو منتزعة من الواقع.

ثم إن الشاعر الجاهلي رغم تعلقه وشغفه بالفضائل والقيم الأخلاقية ونظرته إليها نظرة مثالية لا تقترن بالمنفعة والكسب المادي، فإنه ينظر إلى شؤون حياته نظرة شديدة الواقعية بعيدة عن المثالية.

يقول أوس بن حجر:

أقيمُ بدار الحزم ما دام أهلُها وأحرِ، إذا حالت بأن أتحولا
وأستبدلُ الأمرَ القوي بغيره إذا عقدُ مأفون الرجال تحللا[19]

والحلم المحبب والمُمتدح عنده، يغدو حُمقا وسفها وضعفا، إذا استخدم في غير موقعه.

يقول الفند الزماني:

وبعض الحلم عند الجـ ـهل للذلة إذعان
وفي الشر نجاة حـ ـين لا ينجيك إحسان[20]

وكذلك فإن الشجاعة التي يفاخر بها تصبح تهورا مذموما، ما لم يكن لها نصيب من الممكن واحتمالات النجاح. يقول عمرو بن معد يكرب قبل إسلامه:

إذا لم تستطعْ شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع[21]

والغدر مُسْتَكْرَه ومستقبح ومذموم عند الجاهلي، وكذلك الظلم والبغي والقسوة والجبن، ما لم يكن ذلك ضروريا، أو ردا على الغدر والظلم والقسوة، هنا فقط لا تصبح هذه الصفات المذمومة والمستنكرة، مذمومة أو مستنكرة، بل تغدو ضرورية لحماية الحقوق وحماية الحياة أو نوعا من التعامل بالمثل.

يقول أوس بن حجر: .

وعندي قُروض الخير والشر مثله فَبُؤسىَ لدى بُؤسىَ ونعمى لأنعم[22]

ويقول في هذا، عمرو بن بَرّاق:

وكنتُ إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يال همدان ظالم؟[23]

والشاعر الجاهلي يتعامل مع الآخرين بالمثل، يرد الشر بالشر والغدر بالغدر والظلم بالظلم، ويقابل المعروف بالمعروف والوفاء بالوفاء، وهو أسلوب عملي وواقعي، تقره القوانين وتمليه ضرورات الحياة، بل إن مبدأ التعامل بالمثل أصبح عرفا وقانونا تطبقه الدول في سياستها وتعاملها مع غيرها من الدول، كما تُقره القوانين والديانات.

ولقد أقر القرآن الكريم مبدأ التعامل بالمثل:

﴿وكتب عليهم فيها أن النَّفْسَ بالنفس والعينَ بالعين والأنفَ بالأنف والأذنَ بالأذن والسنَّ بالسن﴾[24].

﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾[25].

ويقول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين[26]

وإن الشاعرية الجاهلية، وليدة التجربة الحسية والاحتكاك المباشر مع الحياة والأشياء وليدة الرؤية والملامسة، وليدة العواطف والانفعال أكثر مما هي وليدة التأمل والتفكير.

فالشاعر الجاهلي يؤمن فقط بحقيقة المحسوسات أو بحقيقة اللحم والدم. . فليس للمجرد أو للعالم الآخر أو لفكرة البعث أي حيّز في تفكيره، وربما كان هذا هو سبب اعتناقه الوثنية، فالوثنية تتفق مع مذهبه الحسي، واعتماده على الحواس. أما عندما يتأمل أو يفكر أو يتفلسف، فإنه لا يذهب بعيدا، أبعد مما تحيط به حواسه وتستوعبه تجربته الذاتية.

أما الحدس والفراسة فإنهما عنده، وليدتا يقظة الحواس وذكائها، فالحدس قد يغني عن الحواس، أو يقوم بدورها في الوصول إلى المعرفة واكتشاف الحقيقة، لكنه هو نفسه، وليد الحواس ويقظتها.

يقول أوس بن حجر في الحدس:

الألمعي الذي يَظُنُّ بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا[27]

لكننا نعتقد أن ركون الجاهلي لحواسه وعدم إيمانه بعالم آخر بعد الموت وإنكاره لفكرة العقاب والثواب السماوي أو فكرة الجنة والنار، قد تكون من بين الأسباب التي أعاقتْ أو حَدّتْ من انطلاقة مخيلته وفكره، فنحن لا نكاد نعثر في شعره على آلهة ذات شأن كبير، أو نقف على صراع بين هذه الآلهة، أو بينها وبين البشر، ولا نكاد نعثر على ذِكْرٍ لدور هذه الآلهة ولسلطتها وأفعالها، وليس في الشعر الجاهلي الذي وصلنا ما يدل على تفكيرٍ أو إيمان بعالم علوي أو سفلي أو جنة أو جحيم، كما لدى الأقدمين من سكان بلاد ما بين النهرين ومصر وسورية، أو كما لدى الإغريق أو أصحاب الديانات السماوية، هذا العالم الذي لعب دورا كبيرا في إخصاب مخيلة الشعراء وفكرهم، وفجّر طاقاتهم ومقدراتهم التصويرية والابتكارية.

فوجود الآلهة في الشعر الجاهلي لا يتعدى ذكر هذه الآلهة أو القسم ببعضها، فآلهة الجاهليين كما وردت في شعرهم الذي وصلنا، آلهة ساكنة خاملة عديمة الفاعلية لا تثير جدلاً ولا تفجر صراعا ولا توحي أو تُلهم أفكارا أو فنا أو

معتقدا، خِلافاً لآلهة سكان بلاد ما بين النهرين وسورية ومصر واليونان القدماء، فقد كانت آلهتهم، مشحونةً بشتى الطاقات والأهواء والشهوات والنزوات، آلهةً تستحق الفكر والمخيلة معا، بل إن آلهة الجاهليين، تبدو بليدةً ساكنة، تثير السخرية، وربما أثارت، احتقارَ العربي الذي يعبدها، إذ يقال: إن سادن صنم بني سليم قد رأى ثعلبا يعلو هامة صنمه الذي يعبده ثم يبول عليه، فأثار هذا المشهد، سخريةَ السادن فأنشد يقول:

أربٌّ يبول الثعلبان برأسه؟ لقد ذلّ من بالتْ عليه الثعالب[28]

أما الحركة والفعل والاندفاع والصراع والامتلاء بالأهواء والرغبات فإنها تخص البشر، فالبشر في الشعر الجاهلي هم الذين يتصارعون، ينتصرون أو ينهزمون، وهم وحدهم الذين يتصدون لأعدائهم وأقدارهم، فالجاهلي ينتزع أو يحتكر، دورَ البشر ودور الآلهة في آن.

ولعل هذا هو السبب في خفوت الحماسة الدينية عند عرب الجاهلية، وسببُ إعطاء الدين والآلهة دورا هامشيا في حياتهم وفي شعرهم.

ورغم أننا لا ننكر أثر الدين الجاهلي في حياة عرب الجاهلية ولا ننكر إغفال الرواة المسلمين لتفكير الجاهلي الديني، إلا أننا نخالف بعض الباحثين الذين يعتقدون أن عرب الجاهلية كانوا شديدي الحماسة لدينهم الوثني وأن قريشا قد حاربت الرسول الكريم بدافع من هذه الحماسة[29]، لاعتقادنا بأن محاربة قريش للرسول الكريم كانت دفاعا عن امتيازاتها ومصالحها ونفوذها وعاداتها الموروثة التي هددها الإسلام بثورته الاجتماعية والاقتصادية، وليس بدافع حماسة دينية.

تعدد الأغراض والأشكال في الشعر الجاهلي

فالشاعرية الجاهلية، ليست مغلولة بالقيود، تتحكم فيها القوالب الجامدة والنماذج المصممة، فقد بولغ في الحديث عن نمطية القصيدة، أو المعلقة الجاهلية، وبولغ أيضاً، بالحديث عن رتابتها ونظامها الصارم وقيودها التي تُقيد، أو تحد من حرية الشاعر الإبداعية بإيقافه الإلزامي على الأطلال وبكاء الدمن ووصف المطايا

وتذكر الأحبة. . وأن علينا أن لا نذهب بعيداً في الحديث عن نمطية القصيدة الجاهلية وعن قيودها.

فالشعر الجاهلي ليس كله معلقات أو قصائد طوالا، يقف فيها الشاعر مُكْرهاً على الأطلال، يذرف الدمع ويصف المطايا ويتغنى بصبره في رحلته ويفاخر بشجاعته وتصميمه على بلوغ أهدافه، أو يبدأ مرغما بمقدمة غزلية أو خمرية لا مهرب منها. .

كما أن المعلقات رغم تقسيماتها ونظامها الخاص، فإنها لم تكن قالبا جامدا أو تصميما موحدا، بل كانت تُعبر أيضاً عن التباين والاختلاف والتمايز تبعا لقائلها، ووفقا لتجربة وثقافة ورؤية وإبداع كل شاعر.

ولهذا فإننا نرى أن معلقة طرفة بن العبد تختلف في روحيتها وفي أسلوبها وفحواها عن معلقة عمرو بن كلثوم، كما تختلف كلتاهما، عن معلقة امرئ القيس، أو لبيد أو زهير بن أبي سلمى.

ثم إن المعلقات أو القصائد الطوال، ليست بالضرورة هي القصائد الأكثر تعبيراً وتمثيلاً للعصر الجاهلي أو الأقدر على نقل إيقاعات الحياة ونبض الوجدان وتفجر المشاعر الإنسانية في الشعر الجاهلي.

فالشاعرية العربية الجاهلية، تتجلى أكثر ما تتجلى، أو تتضح، في المقاطع الشعرية القصيرة، ففي هذه المقاطع القصيرة يصب الشاعر الجاهلي بإيجاز وتكثيف وعفوية وإبداع، آراءه ومواقفه وهمومه وخلاصة تجاربه وحكمته وفلسفته، وفيها تتجلى شاعريته وحساسيته وذكاؤه ونفاذ بصيرته.

لقد شكلت هذه المقطوعات فضاء رحبا تتنوع فيه المواضيع والأغراض والمعاني والأفكار والهموم والإيقاعات النفسية والوجدانية والملاحظات السريعة الواعية، وتنبثق فيها الشاعرية العربية انبثاقا عفويا حُراً خاطفا وأخاذا، كانبثاق النيازك وتفجُّرها، لكنه تفجر يخترق أسرار الحياة ومسافاتها وثناياها ويكشف عن خفاياها وأغوارها.

إنها شاعرية المقطوعات الصغيرة التي تنطلق مباشرة من توهج الروح والوجدان دون قيود أو ضوابط أو محسنات تعوق تلقائيتها وانبثاقها الحر، فتجيء معبرةً بصدق وجدارة عن الحساسية الشعرية العربية بذكائها وتدفقها وتلقائيتها وصلابتها وتوترها وسرعة انسكابها. . لكنها بهذا التدفق أو الانسكاب السريع المكثف الخاطف، ترسم أهدافها وتصل إلى غاياتها الذاتية والإنسانية، ولعل شعر الصعاليك، أوضح شاهد على هذا الفضاء الشعري الأخاذ.

المبالغة في الترفع والإباء

في الشاعرية الجاهلية إسراف ومبالغة في الترفع والإباء، بل إننا قلما نجد في تاريخ الشعر من هو أكثر إباءً وترفعاً وأنفة من الشاعر الجاهلي حتى كأنه مصاب بمرض الترفع، والغريب في هذا أن الإسراف في الترفع والإباء، لم يكن مقتصرا على السادة والشعراء، بل كان يصيب أكثر الناس فقراً وحاجة أو إحساساً بالتمايز الاجتماعي كالشعراء السود والملونين، أو الشعراء الصعاليك.

يقول عنترة:

ولقد أبيتُ على الطوى وأظله حتى أنالَ به كريمَ المأكل[30]

فالشعراء الصعاليك الذين اشتهروا بحياتهم المضطربة البائسة المعدمة، يجيئون في مقدمة الشعراء العرب، أنفةً وإباءً ورفضا لأي نوع من أنواع المِنَّة أو الإذلال أو الإرغام مهما كانت نتيجة ترفعهم وإبائهم.

فالشنفرى يفضل أن يموت جوعا أو أن يأكل من تراب الأرض على أن يَمُنَّ عليه أحد أو يُشعِرُهُ بالتطاول والتمايز والإذلال:

أُديمُ مطالَ الجوع حتى أُميتُهُ وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل
وأستَفُّ تربَ الأرضِ كي لا يرى له عليَّ من الطول امرؤٌ متطول
ولولا اجتنابُ الذام لم يبقَ مشربٌ يُعاشُ به إلا لديَّ ومأكل
ولكنَّ نفساً حرةً لا تُقيمُ بي على الضيمِ إلا ريثما أتحول[31]

وكذلك الشاعر أبو خراش هو أيضا شاعر صعلوك، يفضل أن يموت جوعا على الرغم والدنس والإذلال:

وإني لأثوي الجوع حتى يملني ... فيذهب لم يدنس ثيابي ولا جرمي
أردُّ شجاع البطن قد تعلمينه ... وأوثر غيري من عيالك بالطعم
مخالفةَ أن أحيا برغم وذلة ... وللموت خير من حياة على الرغم[32]

ويبلغ ذو الإصبع العدواني حداً مسرفاً في العفة والإباء والترفع حين يقول:

عَفٌّ ندودٌ إذا ما خفت من بلد ... هُونا فلست بِوَقَّاف على الهون
والله لو كَرِهَتْ نفسي مصاحبتي ... لقلت: إذ كرهتْ قربي، لها بيني[33]

أحزان الشاعر الجاهلي

الشاعرية التي وصفناها بأنها شاعرية إقدام ومواجهة وإقبال على الحياة والملذات، هي أيضا شاعرية مثقلة بمشاعر الحزن والمرارة والإحساس العميق بالخيبة واللاجدوى، حتى لكأن مبالغة الجاهلي وإسرافه في الاندفاع وراء الملذات، ليس أكثر من غطاء يواري به مشاعره الحزينة وإحساسه العميق بعبثية الحياة، أو كأن إقباله المحموم على الحياة ليس إلا نوعا من أنواع الهروب من هذا الإحساس المرهق.

ولعل ما يزيد من إحساس الشاعر الجاهلي بالحزن ويثقله بمشاعر الخيبة والقلق والخوف، قسوة الطبيعة الصحراوية وكثرة مخاطرها وسرعة انطفاء الحياة فيها، وربما لسبب آخر هو عدم إيمان الجاهلي بعالم آخر بعد الموت، فلا شك أن فكرة العدم كانت تؤرق الجاهلي وتبعث في روحه الحزن والكآبة، لنستمع إلى طرفة بن العبد، شاعر الحياة والإقبال المحموم على الملذات كيف تثقله الأحزان وكيف يئن من جراحه الغامضة:

خليليَّ لا والله ما القلب سالم ... وإن ظهرتْ مني شمائلُ صاح
وإلا، فما بالي ولم أشهد الوغى ... أبيتُ كأني مثقل بجراح؟[34]

ثم إن عدي بن زيد العبادي لا يقل عن طرفة بن العبد حزنا وإحساسا فاجعا باليأس والهزيمة وباستحالة السعادة ما دام الموت يتربص بالحياة، أو يستبد بها بل ما دام الإنسان صائراً لا محالة إلى الموت، وذلك عندما يُطلق صرختَه اليائسة وتساؤله الموجع «وما غبطةُ حيّ إلى الممات يصير»:

فارعوى قلبُه، فقال: وما غبـ ـطة حيّ إلى الممات يصير[35]

أما عمرو بن قميئة فإنه يقف منكسرا حزينا معترفا بعجزه وبهزيمته الحتمية وهو يتلقى سهام الأقدار أو سهام المنية التي تصوب إليه لكنه يعجز عن تفاديها أو ردها، بل إنه يحس بتسرب عمره، وبأن عمره المديد، ليس أكثر من لحظة سريعة الانطفاء:

رمتني بناتُ الدهر من حيث لا أرى ... فما بال من يرمي وليس برامي
فلو أن ما أُرمى بنبل رميتها ... ولكنما أُرمى بغير سهام
كأني وقد جاوزتُ عشرين حجةً ... خلصتُ بها عني عذار لجامي[36]

فكرة اللذة والموت في الشعر الجاهلي

تتصدر اللذة الجسدية أو الحسية شعر الجاهلي واهتماماته حتى ليكاد يراها غاية الحياة وهدفها ومطلبها.

فالجاهلي يسعى ويتصادم مع الواقع ويواجه التحديات والأعداء ويركب الصعب بل يجازف بحياته ليظفر ولو بلحظات قصيرة من اللذة.

ولذة الجاهلي لا تكاد تتعدى لذائذ ثلاث: (المرأة، والخمرة، وممارسة البطولة) وقد تُختصر لذاذاته أحيانا في لذتين أو في لذة واحدة، كما عند سحيم بن وثيل الرياحي الذي يستغني بالخمرة عن اللذائذ كلها:

تقول حدراء: ليس فيك سوى الـ ـخَمْر، معيبٌ يعيبهُ أحد
فقلت: أخطأتِ، بل معاقرتي الـ ـخَمْرَ وبذْلي فيها الذي أَجِدُ
هو الثناء الذي سمعتُ به ... لا سيد مُخلدي ولا لبد
ويحك لولا الخمور لم أحفل العيـ ـشَ ولا أن يَضُمَّني لحد

هي الحياة، والحياة واللهو، لا أنت، ولا ثروة ولا ولدُ[37]

لذة الخمرة عند سحيم هي وحدها التي تمنح الحياة قيمتها وهدفها وجدوى استمرارها فلولا اللذة، أو لذة الخمرة لما كان لوجوده أي معنى أو قيمة أو مبرر.

فإذا ما ارتوى الشاعر الجاهلي وشبع من لذاذات الحياة أو اشتفى منها فلم يعد للحياة في نظره ما يؤسف عليه على حد قول عمرو بن قنعاس:

متى ما يأتني أجلي يجدني شبعت من اللذاذة واشتفيت[38]

أو كما يقول قيس بن الخطيم:

متى يأتي هذا الموتُ لا تُلفَ حاجةٌ لنفسي إلا قد قضيتُ قضاءَها[39]

أما المجمع بن هلال، فإنه لا يحس بوجوده بل لا يعترف بهذا الوجود إلا عبر التمتع وممارسة اللذات:

وخيلٍ كأسراب القطا قد وزعتها لها سبل فيه المنيةُ تلمع
شهدتُ، وغنم قد حويتُ ولذة أتيتُ، وماذا العيش إلا التمتع[40]

(المجمع)، يمارس وجوده ويحسه من خلال متعته، إنه يتمتع إذن فهو موجود، وهي مقولة لا تقل أهمية وتعبيرا عن الحياة والوجود، من مقولة ديكارت «أنا أفكر، أنا إذن موجود»[41].

يشاركه طرفة بن العبد مذهبه في فلسفة اللذة والاستغراق فيها واعتبارها هدف الحياة ومبررها:

ألا أيهذا اللائمي أحضرَ الوغى وأن أشهد اللذات هل أنتَ مخلدي
فإن كنتَ لا تستطيع دفعَ منيتي فدعني أبادرها بما ملكتْ يدي
ولولا ثلاثٌ هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودي
فمنهن سبقي العازلات بشربة كميت متى ما تُعل بالماء تزبد
وكري إذا نادى المضافُ مُحَنَّبا كسيد الغضا، نبهته، المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجنُ معجب ببهنكة تحت الطراف المعمد
كريم يُرَوِّي نفسَه في حياته ستعلم إن متنا غدا، أينا الصدي[42]

إلا أن اللذة عند الشاعر الجاهلي، لا تفتح أبواب الشهوات وحدها، بل كثيرا ما تفتح أبواب القلق والتأمل والتساؤلات وربما أبواب التفلسف، فاللذة عند امرىء القيس لا تقود فقط إلى الخمرة أو إلى مخادع النساء، بل تقوده إلى ما بعد اللذة الحسية، إلى الإحساس المر بتسربها وانطفائها وجدواها، بل تضعه وجها لوجه حيال حقيقة الموت المروعة:

كـأني لم أركـبْ جـواداً لـلـذة ولم أتبطنْ كاعباً ذاتَ خلخال

ولم أسبأ الزق الرَويَ ولم أقلْ لخيلي كُري كرةً بعد إجفال[43]

اللذة عند الشاعر الجاهلي - مثله مثل الفيلسوف الأبيقوري - لا تقف عند حدود المتعة الحسية أو تقتصر على اللذة الجسدية، بل تتجاوز ذلك إلى نوع آخر من اللذة لا يقل جاذبية وسحراً عن اللذة الحسية، هي لذة ممارسة الفضائل من عفة وكرم وشجاعة ونجدة ووفاء..

الموت واللذة، يفتحان أبواب التأمل والقلق والتساؤل

اللذة الحسية تمنح الجاهلي السعادة وتخفف من وطأة إحساسه بالقلق والعزلة والحصار ولا جدوى الحياة، ومن يقينه المضني بحتمية الموت وثقل هذا الإحساس الجاثم على الروح.

أما اللذة المعنوية ولذة ممارسة البطولة أو الفضائل، فإنها تمنحه الإحساس بمتعة المجد كما تمنحه نوعا آخر من المتعة، وهي متعة الإحساس بنوع من الاستمرارية والخلود في وجه حتمية الموت، من خلال ما يتناقله الناس من سيرته وأفعاله.

وهكذا فتحت اللذة، أبواب التأمل والفكر وأبواب التساؤلات وقادت الجاهلي إلى التفكير بما بعد اللذة، إلى التفكير بالقضايا التي شغلت وما تزال تشغل البشر وبال المفكرين والمثقفين.. كالتفكير في الحياة وما بعد الحياة، والتفكير بالموت والخلود والزمن والبشر وعلاقة الإنسان بالإنسان والطبيعة.

فامرؤ القيس، شاعر العبث والتبذل واللهو ينظر نظرةً جادة وصارمة إلى الناس تقتربُ كثيرا من نظرة المتفلسف. إنه يراهم حيال جبروت الكون أو حيال قانون الموت أشبه بالديدان والذباب، منهمكين في ملذاتهم أو متغافلين عن مصيرهم المرعب وعما تخبئه لهم الحياة:

أرانا موضعين لأمر غيب ونُسحر بالطعام وبالشراب

عصافيرٌ وذبان ودود وأجْرأُ من محلجة الذئاب[44]

إنها صورة مفزعة عن الإنسان ومصيره، تعبر عن وعي عميق لمأساته وبؤسه وضآلته حيال جبروت الكون وقوانينه، بقدر ما تكشف عن ضعفه وغفلته وانشغاله إزاء مصيره، وهي صورة قريبة مما وصف به القرآن الكريم بعض الغافلين: **﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾**[45].

أما أبو دؤاد الأيادي فلا يرى في الناس أكثر من «طعام المنون» أو حصاد للموت يدور عليهم فيحصدهم ويطحنهم كالرحى المجنونة ثم يرمي بهم إلى العدم:

رُبّ همّ فرجته بعزيم وغيوب كشفتها بظنون

إنما الناس فاعلمنَّ طعام خبل خابل لريب المنون

عطف الدهرُ بالفناء وبالمو ت عليهم، يدور كالمجنون[46]

والناس «شيء فاسد» لا يمكن إصلاحه عند الأعشى[47] بل هم أشبه بورق سرعان ما يجف ويتساقط حين تهب عليه رياح الزمان.

أما أفراح الناس وغبطتهم فكلها «باطل وقبض الريح» لا جدوى منها ولا معنى لها ما دام الإنسان صائرا إلى الموت كما يرى عدي بن زيد العبادي:

فارعوى قلبه، وقال وما غبـ ـطة حي إلى الممات يصير

ثم صاروا كأنهم ورق جف فألوت به الصبا والدبور[48]

وهكذا تترابط فكرة الموت وتتداخل تداخلا عميقا - عند الشاعر الجاهلي - مع فكرة الحياة، الحياة تمنحه اللذة والغبطة والإحساس بالانتصار، بينما الموت يفسد عليه هذا الإحساس ويستلبه منه بل يستلبه الحياة نفسها.

إن حياة الجاهلي، هشة سريعة العطب والانطفاء ما تكاد تبدأ حتى تنتهي، بل لا تكاد تومض حتى تنطفىء، ولهذا فقد شبه حياته بشيء مستعار سرعان ما يسترد كما قال المهلهل:

أرى طولَ الحياة وقد تولى كما قد يسلب الثوب المعار[49]

أو كمال يقول الأفوه الأودي:

إنما نعمةُ قوم متعة وحياةُ المرء ثوب مستعار[50]

ويشبهها أحيانا بكنزٍ سريع النفاد ينتهبه الدهر والأيام، فلا يلبث أن ينفد، كما يقول طرفة بن العبد:

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة وما تنقص الأيام والدهر ينفد[51]

أو هي كشهاب لا يلبث أن يضربه الدهر فيخمد ويتحول إلى رماد، كما يقول لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع[52]

وهي أشبه بلحظة خاطفة سريعة الانطفاء كما يصفها عمرو بن قميئة:

كأني وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عني عذار لجامي[53]

أما نظرة الشاعر الجاهلي إلى الموت، فإنها تنبثق من رؤيته للحياة ومخاوفه من انطفائها وحرصه على استمرارها وامتلائها بالملذات.

فالموت عنده ليس الاحتمال الذي يتهدد الحياة دائما بالحدوث، أو البديل أو الوجه الآخر المناقض لها فحسب، بل هو جزء من الحياة يسكنها ويستبطنها ويتداخل فيها بل يجري فيها «كما تجري الشمس في كبد السماء»[54] إنه يدخل في صميم الوجود الإنساني كما يرى (هيدجر) أحد الفلاسفة الوجوديين.

أو كما يقول قس بن ساعدة في صورة تختلف عن صور الشعراء الجاهليين التي تبتعد عن المجرد أو عما هو غير مألوف:

تجري على كبد السماء كما يجري حمامُ الموت في النفس[55]

قس بن ساعدة هنا، لا ينتظر أن يأتيه الموت من الخارج، لأن الموت في نظره يسكنه ويجري في نفسه ويتدفق في دمه وفي نسيج حياته، كما يملأ الكون ضوء الشمس وكما يتدفق فيه.

ومثلما قادت اللذة أو التفكير بها، الشاعرَ الجاهلي، إلى التفكير بمأساة الموت فإن مأساة الموت قد قادته للتفكير في مسألة الخلود وإلى التساؤل عما بعد الحياة، بل عن جدوى الحياة ما دام المرء صائرا لا محالة إلى الموت.

ولكن كيف نظر الشاعر الجاهلي إلى ما بعد الموت وما هو مفهومه للخلود، وهل كان يؤمن بما نسميه الخلود الأبدي؟

إن ما وصلنا من الشعر الجاهلي، لا يشير مطلقا إلى فكرة الخلود السماوية ولا يشير إلى إيمان الجاهلي بحياة ثانية أو بعالم آخر يذهب إليه الإنسان بعد موته. وكذلك فإن النثر الجاهلي خال من أية إشارة إلى فكرة الخلود الأبدي أو استئناف الحياة في شوط آخر بعد الموت.

وقد أكد القرآن الكريم، في أكثر من موضع، عدم إيمان الجاهلي الوثني بالبعث أو بالخلود السماوي:

﴿وقالوا إن هي إلا حياتُنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾[56].

﴿وزعم الذين كفروا أن لن يبعثوا﴾[57].

وقال شداد بن الأسود الليثي يسخر من الرسول الكريم ومن فكرة البعث:

أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام

أتَتْرُكُ أنْ تردَّ الموتَ عني وتُحييني إذا بليتْ عظامي؟[58]

إلا أن فكرة الموت أو حتمية الموت قد شكلت عند الجاهلي قضية محورية بالغة الحساسية وهاجسا لا يخفف منه أو يطفئه الانغماس في الملذات أو الانشغال في البطولة.

الحياة عند الجاهلي تنتهي بالموت والموت ينتهي بالإنسان إلى العدم أو الفناء كما يقول أبو دؤاد الأيادي:

إنما الناسُ فاعلمنَّ طعامٌ خبل خابل لريب المنون
عطف الدهر بالفناء والموت عليهم - يدور كالمجنون[59]

لكن هل يعني هذا أن الشاعر الجاهلي لم يفكر بالخلود ولم يسع إلى تحقيقه وأنه اكتفى حقا بحياته القصيرة واقتنع بما اختطفه منها من ملذات، ثم أسلم نفسه بعد ذلك لفكرة العدم؟

أم أنه فَكَّر مليا بالخلود وأقنع نفسه بإمكانية تحقيق نوع آخر من أنواعه؟ نوع يختلف عن خلود الديانات السماوية، خلود يمكنه من الاستمرار ولكن على الأرض لا في ملكوت السماء.

الشعر الجاهلي يشير إلى إيمان عرب الجاهلية بهذا النوع من الخلود، الخلود الأرضي من خلال ما يتركه المرء بعده من أفعال مجيدة. هذا هو الخلود الوحيد الذي آمن به الشاعر الجاهلي وعمل من أجله، وبه وحده حاول أن ينتصر على حتمية الموت وفكرة العدم.

وبه منح الحياة الجاهلية الحزينة بارقة من الأمل، وهذا النوع من الخلود، هو ما يشير إليه حاتم الطائي بقوله لزوجته:

أماوي إن المال غاد ورائح ويبقى، من المال الأحاديث والذكر
أماوي إن يصبح صداي بقفرة من الأرض، لا ماء هناك ولا خمر
تَرَيْ أن ما أهلكتُ لم يك ضرني وأن يدي مما بخلت به صفر
أماوي إني رُبّ واحد أمه أجرتْ، فلا قتل عليه ولا أسر[60]

فكرة الخلود في الشعر الجاهلي

قد يكون من الصعب في بحث كهذا أن نحيط بالصفات أو بكل أنواع الفضائل التي كانت تؤهل الجاهلي إلى تحقيق خلوده الخاص، فهي سلسلة طويلة تشمل كل ما نفاخر به الآن أو نعتز به أو نطمع بأن يؤهلنا للخلود.

في مقدمة هذه الصفات أو الفضائل، يجيء الكرم والشجاعة والعفة والعدل والحلم والصدق والوفاء والإيثار والحَدْب على الفقراء والضعفاء وإجارة المستجير ونجدة الملهوف، ورفض البغي والظلم والغدر والقسوة.. إلى آخر هذه السلسلة من الفضائل التي قد يوجزها أو يلخصها الجاهلي، بالفروسية.

لقد كان الجاهلي حريصا على التحلي بهذه الصفات وعلى المفاخرة والاعتزاز بها والعمل على تكريسها وإشاعتها بين الناس وفي الحياة، لا لأن حرصه هذا يحقق له نوعا من الانتصار على الموت أو العدم، أو لأنه يمنحه إحساسا بإمكانية الاستمرار من خلال سيرته الحميدة التي تتناقلها الأجيال من بعده فحسب، بل لأن ممارسته لهذه الفضائل، تشكل صمام أمان ينتصر به للحياة فيصلحها أو يخلصها مما يعكرها أو يفسدها.

والخلود عند الجاهلي لا يتحقق بالمال أو السلطة أو بالقوة والسيطرة، بل يتحقق فقط بالفروسية أو بالفضائل.

وهنا تلتقي فضائل الجاهلي أو تتشابه مع فضائل المصلحين الاجتماعيين وأصحاب الديانات السماوية في الهدف، أي في الرغبة أو في العمل على إصلاح الحياة وإنقاذها مما يفسدها وفي تحريض الإنسان أو ترغيبه في فعل ما من شأنه أن يخدم الحياة والبشر، أو يخفف من شقائهم وآلامهم.

وإننا لا نبالغ، إذا ما قلنا: إن الشعراء الجاهليين الذين دعوا إلى هذه الفضائل ومارسوها وعملوا على تكريسها في أذهان الناس وفي سلوكهم قد شكلوا تيارا واسعا، يمكن أن نسميه بتيار الإصلاح والنزعة الإنسانية، كان له تأثير كبير وحاسم في إنضاج الحياة الفكرية الجاهلية وفي تهيئة الجاهليين لتقبل النقلة النوعية الواسعة أو التحول الحاسم الذي قاده الرسول الكريم.

القيم الأخلاقية والإنسانية في الشعر الجاهلي

كانت تلك وقفة عند بعض القضايا الفكرية التي شغلت بال الشاعر الجاهلي، ننتقل بعدها، إلى نماذج من شعر أصحاب تيار الإصلاح والنزعة الإنسانية وإلى ما يختزنه شعرهم أو يزخر به من قيم أخلاقية ومثل إنسانية ومن مشاعر طافحة بالحنان والرأفة والإيثار والسمو الخلقي والافتتان بمكارم الأخلاق وبالإحساس المفرط بالمسؤولية حيال الآخرين وحيال الحياة، بما لا نجد له مثيلا إلا في الكتب السماوية وفي دساتير الدول المتحضرة.

ولعل من الواجب هنا أن نشير إلى أننا لم نختر هذه النماذج الشعرية لقيمتها الفنية أو لتميزها الإبداعي، إنما اخترناها لمضمونها ولما تحمله من معان وقيم أخلاقية وإنسانية.

يفاخر عروة بن الورد بكرمه وإيثاره الآخرين على نفسه، ليس بما يفيض عن حاجته بل على حساب حاجته كأنه بذلك يطعم الآخر من جسده، يقول في هذا المعنى:

أتهزأ مني أن سمنتَ وأن ترى ... بوجهي شحوبَ الحق والحق جاهد
وإني امرؤ عافي إنائي شركة ... وأنتَ امرؤ عافي إنائك واحد
أُقَسِّمُ جسمي في جسوم كثيرة ... وأحسو قراح الماء والماء بارد[61]

أما حاتم الطائي فإنه لا يأكل طعاما لا يشاركه فيه جائع أو مسافر أو جار ذو حاجة، إنه يحارب نوازع الأنانية وحب التملك وتَجاهُلِ حاجةِ الآخر، كما في هذا الخطاب العذب الذي يخاطب فيه زوجته:

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ... ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد
إذا ما صنعت الواد فالتمسي له ... أكيلا فإني لستُ آكله وحدي
أخاً طارقاً، أو جار بيتٍ، فإنني ... أخافُ مَذَمّات الأحاديث من بعدي[62]

بل إن حاتم وهو سيد قومه، يستقبح أن يؤثرَ السيدُ نفسَه على مسوده أو على من هم أقل شأنا أو مكانة منه، فلا يعاملهم بروح المساواة والعدل

والمشاركة، فيقدم لنا صورة حافلة بمشاعر المشاركة والإيثار والإحساس العميق بالآخر حين يقول في أخلاقية السفر والمرافقة:

ومرقلةٍ دونَ السماء علوْتُها ... أُقَلِّبُ طرفي في فضاء سباسب
وما أنا بالساعي بفضل زمامها ... لتشرب ما في الحوض قبل الركائب
إذا كنتَ ربا للقلوص فلا تدع ... رفيقَكَ يمشي خلفها غيرَ راكب
أَنِخْها، فأردفه، فإن حملتكما ... فذاك، وإن كان العقاب، فعاقب[63]

ويفاخر ذو الإصبع العدواني، وهو سيد قومه أيضا، بفضيلة الكرم والإيثار والشجاعة:

أكرم الضيفَ والنزيلَ وإن بتُّ ... خميصاً يضم بعضي لبعض
أطعنُ الفارسَ المدجج بالرمح ... فأُلقيه لليدين وأمضي[64]

أما حفاوة الشاعر الجاهلي بالحلم والصفح والرفق والعدل.. فلم تكن تقل عن حفاوته بالكرم والإيثار والمشاركة.

يقول أوسُ بن حجر:

فقومُكَ لا تجهلْ عليهم ولا تكنْ ... لهم هَرِشا تغتابهم وتقاتل
إذا أنتَ لم تُعرض عن الجهل والخنا ... أَصَبْتَ حليما أو أصابك جاهل[65]

ويفاخر حاتم بفضيلة الحلم والعفة والترفع والصفح:

تحمّل عن الأدنين واستبقِ وُدَّهم ... ولن تستطيع الحلمَ حتى تحلَّما
وعوراء قد أعرضت عنها فلم تضر ... وذي أود قومته فتقوما
وأغفرُ عوراء الكريم اصطناعه ... وأصفح عن شتم اللئيم تكرما[66]

أما خفاف بن ندبة فإنه يزهو بترفعه وصفحه وحلمه وتعلقه بالفضائل:

وأُكرم نفسي عن أمور كثيرة ... أصون بها عرضي وآسو بها كلمي
وأصفحُ عمن لو أشاء جزيتُه ... فيمنعني رشدي ويدركني حلمي
وأغفر للمولى وإن ذو عظيمة ... على البغي منها لا يضيق بها حزمي[67]

ويسلّم الأفوه الأودي قياده للحق مختارا، وهو الفارس القوي المنيع الذي لا يرغمه شيء على هذا التسليم إلا إعجابه بالفضيلة وشغفه بقيم الحق والعدل:

وإني لأُعطي الحقَّ من لو ظلمتُه أقرَّ وأعطاني الذي أنا طالب
وآخذُ حقي من رجال أعِزَّةٍ وإنْ كرمتْ أعراقُهم والمناسب[68]

وتجدر الإشارة إلى أن ما يميز الفضيلة الجاهلية، أنَّ صاحبَها يمارسها لأنها فضيلة، فالجاهلي لا يعمل الخير أو يتجنب الشر طمعا في ثواب أو خوف من عقاب في حياة لاحقة، بل يفعل الخير لأنه خير ولأنه ينفع الناس والحياة.

وقد تبلغ مشاعر الرفق والرأفة والحدب عند بعض شعراء الجاهلية حدا تجعلنا نتردد كثيرا في تصديق ما ينسب إلى الجاهلي من قسوة وجفوةِ طَبْعٍ وتعسف، أو تجعلنا نحار في هذا المزيج العجيب من القسوة والجفاء وخشونة الطباع، وبين أرق المشاعر الإنسانية وأكثرها سموا.

يقول زهير بن أبي سلمى وكأنه طبيب نفسي وليس شاعرا جاهليا:

ولا تُكْثِرْ على ذي الذنب عتبا ولا ذِكر التجَرُّم للذنوب[69]

ويصف هَرِمَ بنَ سنان ممتدحا ما يُجسده من خصال مجيدة:

حَرْبٌ على المولى الضريك إذا نابتْ عليه نوائب الدهر
والسترُ دون الفاحشات وما يلقاك دون الخير من ستر
الحاملُ العبءَ الثقيل عن الجاني بغير يدٍ ولا شكر[70]

ويمتدح حصن بن حذيفة بن بدر كأنه شاعر متشبع بروح الإسلام يمتدح أحد الخلفاء بما يَوَدُّ أن يُمدح به:

وأبيضَ فياض يداه غمامةٌ على معتفيه ما تغِب فواضله
أخي ثقة لا تُتلف الخمرُ مالَه ولكنه قد يُهلك المالَ نائله
تراه إذا ما جئتَه متهللاً كأنكَ تعطيه الذي هو سائله
وذي نسب ناء بعيد وصلته بمال وما يدري بأنك واصله
وذي نعمة تمتَها وشكرتها وخصمٍ يكادُ يغلب الحقَ باطله

دفعتَ بمعروف من القول صائب إذا ما أضلَّ الناطقون مفاصله
وذي خَطَلٍ في القول يحسبُ أنه مصيب، فما يُلمم به، فهو قائله
عبأتَ له حِلماً وأكرمتَ غيرَه وأعرضتَ عنه وهو باد مقاتله[71]

هذه نماذج من الشعر الجاهلي تبدو، بما تزخر به، أو بما تحمله من مضامين فكرية وأخلاقية وإنسانية كأنها مغايرة، أو مناقضة لما هو معروف أو متناقل عن أخلاق وقيم عرب الجاهلية لأنها تنقل قيما شبيهة بقيمنا الأخلاقية والإنسانية، قيما تحض على العدل والرحمة والرأفة وتنبذ القسوة والعنف والبغي وحب الانتقام والانسياق وراء الأهواء والعصبيات.

بل إن ما لمسناه من شغف الشاعر الجاهلي وتعلقه بالفضائل - وإن لم يكن الجاهلي يتقيد أو يتحلى دائما بما يفاخر أو يتبجح به - خليق بأن يسترعي انتباه المؤرخين ودارسي الأدب العربي الجاهلي، ويحضهم على إعادة النظر بما يوصف به عرب الجاهلية من الجهل والتعسف والقسوة والطيش والتحلل والتسرع، والنظر إلى العصر الجاهلي نظرة متوازنة منصفة، لا تقتصر على رؤية أو إبراز عيوب عرب الجاهلية فحسب، بل تتسع لتكشف عن فضائلهم وعما اتصفوا به أيضا من الحلم والعفة والإيثار والاعتدال والتروي.

لقد تحدث الكثير من النقاد والباحثين عن الخصائص الجمالية والفنية للشعر الجاهلي وعن طاقاته الإبداعية.. ولم يحفلوا بمضمونه الفكري والأخلاقي والإنساني والإصلاحي ولم يعطوا هذا الجانب ما يستحقه من البحث والاهتمام، رغم أهمية هذا الجانب وما كان له من أثر كبير في تهيئة عرب الجاهلية إلى النقلة النوعية الحضارية التي تمت بفضل رسالة الإسلام.

وإنني لا أستطيع في نهاية هذه القراءة، وفي ظل التسابق والتطهر، بإدانة العصر الجاهلي، إلا التساؤل:

أي مزيَّة أخلاقية، نفاخر أو نتباهى بها الآن، لم تكن مبعثَ مفاخرة ومباهاة لدى عرب الجاهلية؟

بل أين نحن الآن، من تلك الروح الجريئة المتأبية المخلصة لما تؤمن، الرافضة لكل أنواع القسر والإرغام والإذلال؟

ألسنا بحاجة، ونحن نفاخر اليوم، بما نمتلك من قيم ومثل روحية وإنسانية، بينما نتجرع أنواع وألوان الامتهان والإكراه والإذلال والانصياع لمشيئة أعدائنا ولكل ما يتعارض مع كرامتنا ومصالحنا وقيمنا، إلى مثل تلك الروح المتأبية الشامخة، التي ترفض القبول والتكيف مع ما هو خاطىء ومُرغمْ وظالم؟

وهل تسعفنا قراءة تراثنا الشعري الجاهلي، في استعادة أو استرجاع، ليس بعض ما افتقدناه من الحساسية الشعرية والجمالية، بل ما افتقدناه من الحساسية الأخلاقية، والإحساس بالمسؤولية تجاه أنفسنا ومصيرنا وتجاه البشر والحياة؟

الهوامش والمراجع

(1) ابن سلام: **طبقات فحول الشعراء**، شرح محمود محمد شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، سفر 1، ص25.

(2) ابن الكلبي: **كتاب الأصنام**، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، ص12.

(3) يصف ابن منظور، في **«لسان العرب»** تحت مادة «جهل»، الجاهلية، بأنها الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام، من الجهل بالله ورسوله وشرائع الدين ومفاخرة بالأنساب والتكبر والتجبر وغير ذلك.

ويستعرض جواد علي، في كتابه **«المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»**، جـ1، بيروت: دار العلم للملايين، 1968، ص 37 وما بعدها، طائفة من آراء الباحثين، بعرب الجاهلية، ثم وصف الجاهلية بقوله: والرأي عندي، أن الجاهلية، من السفه والحمق والأنفة والخفة والغضب..

ويذهب بلاشير، في كتابه، **«تاريخ الأدب العربي»**، ترجمة إبراهيم كيلاني: جـ1، دمشق: 1973، ص47 و261، إلى أن كلمة الجاهلي، تضم جميع مظاهر العنف والوحشية والتعسف والتبجح، كما يصف الجاهلي بضيق الأفق التأملي والفلسفي.

ويستعرض أحمد أمين في كتابه، **«فجر الإسلام»** الطبعة الحادية عشرة، بيروت: دار الكتاب العربي، ص 33-41، آراء عدد من العلماء والباحثين العرب والأجانب، فينقل لنا رأي «أليري» في كتابه «العرب قبل محمد» الذي اتهم فيه العربي الجاهلي بالحسد والخيانة والطمع وضيق الخيال. أما أحمد أمين، فيصف الجاهلي بأنه عصبي المزاج سريع الغضب يهيج للشيء التافه، وذكاؤه ليس من النوع الخالق المبتكر، خياله محدود.

(4) جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، جـ1، بيروت: دار العلم للملايين، 1968، ص37 وما بعدها.

(5) ابن منظور: **لسان العرب** مادة «جهل».

(6) تاريخ الأدب **العربي**، ص47 و261.

(7) فجر الإسلام، ص33 و37 و41.

(8) ونسنك: **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**، جـ 2، ليدن: مطبعة بريل، 1943، ص100.

(9) أحمد عباس صالح: **اليمين واليسار في الإسلام**، الطبعة الثالثة، بيروت: مؤسسة الدراسات العربية، ص29-30.

(10) ابن هشام: **السيرة النبوية**، جـ 1، بيروت: دار الكتاب العربي، ص194.

(11) محمود الألوسي البغدادي: **بلوغ الأرب**، جـ 1، مطابع دار الكتاب العربي، ص323-324.

(12) البحتري: **حماسة البحتري**، بيروت: دار الكتاب العربي، 1967، ص142.

(13) أبو تمام، **ديوان الحماسة**، شرح التبريزي، مراجعة محمد عبدالمنعم خفاجي، جـ1، مطبعة محمد علي صبيح، ص219 و95 و76.

(14) ديوان الحماسة، ص 378-379.

(15) البحتري: **حماسة البحتري**، الطبعة الثانية، تدقيق لويس شيخو، بيروت: دار الكتاب العربي، ص20.

(16) عنترة: **ديوان عنترة**، تحقيق وشرح عبدالمنعم شلبي، القاهرة: المكتبة التجارية، ص120.

(17) أبو الفرج الأصفهاني: **الأغاني**، تحقيق علي السباعي وآخرون، جـ 22، الهيئة المصرية العامة للكتاب: 1973، ص345.

(18) حماسة البحتري، ص21.

(19) أوس بن حجر: **ديوانه**، الطبعة الثانية، تحقيق محمد يوسف نجم، بيروت: دار صادر، ص83.

(20) ديوان الحماسة، جـ 1، ص21.

(21) أبو الفرج: **الأغاني**، تحقيق عبدالسلام هارون، جـ 15، مطبعة دار الكتب، 1959، ص225.

(22) ديوان أوس بن حجر، ص35.

(23) أبو الفرج: **الأغاني**، تحقيق عبدالكريم العزباوي، جـ 21، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص177.

(24) سورة المائدة 45.

(25) سورة البقرة 194.

(26) ابن قتيبة: **عيون الأخبار**، م2، مطبعة دار الكتب المصرية، 1930، ص194.

(27) ديوان أوس بن حجر، ص 35.

(28) عبدالغني زيتوني: **الوثنية في الشعر الجاهلي**، دمشق: 1987، ص137.

(29) طه حسين: **في الأدب الجاهلي**، الطبعة الثانية، دار المعارف، ص 91.

(30) ديوان عنترة، ص119.

(31) الشنفرى: **لامية الشنفرى**، تحقيق عبدالكريم العزباوي، جـ 11، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973، ص 214.

(33) القالي: **الأمالي**، جـ1، بيروت: المكتب التجاري، ص256.

(34) طرفة بن العبد: **ديوانه**، بيروت: دار صادر، 1961، ص 17.

(35) عدي بن زيد العبادي: **ديوانه**، تحقيق محمد جبار المعيبد، بغداد: 1965، ص89.

(36) ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، تحقيق أحمد محمد شاكر، جـ1، دار المعارف، 1966، ص377.

(37) ابن قتيبة: **عيون الأخبار**، م1، مطبعة دار الكتب المصرية، ص259-260.

(38) أدونيس: **ديوان الشعر العربي**، جـ1، بيروت: المكتبة العصرية، ص244.

(39) ديوان الحماسة، ص89.

(40) ديوان الحماسة، ص418-419.

(41) زكي نجيب محمود: **الموسوعة الفلسفية**، ترجمة فؤاد كامل وآخرون، مكتبة الانجلوالمصرية، 1963، ص141.

(42) ديوان طرفة بن العبد، ص 32-33.

(43) امرؤ القيس: **ديوانه**، الطبعة الثانية، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ص35.
(44) ديوان امرىء القيس، ص 37.
(45) سورة الفرقان 44.
(46) غوستاف غرنباوم: **دراسات في الأدب العربي**، ترجمة إحسان عباس وآخرين، دار مكتبة الحياة، ص346.
(47) الأعشى: **ديوانه**، مصر: مكتبة دار الأدب، ص237.
(48) عدي بن زيد العبادي: **ديوانه**، ص89-90.
(49) ديوان الشعر العربي، جـ1، ص40.
(50) الشعر والشعراء، جـ1، ص223.
(51) ديوان طرفة بن العبد، ص34.
(52) لبيد: **ديوانه**، تحقيق وتقديم إحسان عباس، الكويت: 1912، ص169.
(53) الشعر والشعراء، جـ1، ص377.
(54) زكريا إبراهيم: الفلسفة الوجودية، **سلسلة اقرأ**، 161، ص72-77.
(55) لويس شيخو: **شعراء النصرانية**، جـ1، ص216.
(56) سورة الأنعام 29.
(57) سورة التغابن 7.
(58) أبو العلاء المعري: **رسالة الغفران**، الطبعة الثانية، تحقيق بنت الشاطىء، دار المعارف، ص414.
(59) دراسات في الأدب العربي، ص346.
(60) حاتم الطائي: **ديوانه**، ص 50-51.
(61) عروة بن الورد: **ديوانه**، تحقيق عبدالمعين الملوحي، دمشق، ص51-52.
(62) ديوان حاتم الطائي، ص43-44.
(63) ديوان حاتم الطائي، ص29-30.
(64) ديوان الشعر العربي، جـ1، ص89.
(65) ديوان أوس بن حجر، ص39.
(66) ديوان حاتم الطائي، ص81.
(67) أبو الفرج: **الأغاني**، تحقيق إبراهيم الأبياري، م19، دار الشعب، ص6846-6847.
(68) ابن الشجري: **الحماسة الشجرية**، تحقيق عبدالمعين الملوحي، دمشق: قسم 1، ص103.
(69) زهير بن أبي سلمى، **ديوانه**، بيروت: دار صادر، 1964، ص16.
(70) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص28-29.
(71) ديوان زهير بن أبي سلمى، ص68-69.

* * *